مساحة خضراء

إبداع قصصي شعري لمبدعة قادمة..

فؤاد عبدالقادر

■ فتشت بين كتبي، نبشت في ذاكرة المكتبة .. ووجدتني تمتد يدي إلى كتاب نسيته فترة من الزمان من بين الكتب .. كتاب (إليك.. همس ذاكرتي) للقاصة الشاعرة لمياء يحيى عبدالرحمن الإرياني.

المجموعة القصصية هي باكورة المبدعة لمياء. المجموعة قسمت إلى مجموعتين، جزء مجموعة قصصية. وجزء قصائد شعر..

لا أخفيكم أني أعجبت بالقصص وبالشعر التي درجة أني قرأت الشعر أكثر من مرة واستمتعت بالقصائد وبالقصص.

صحيح بنت الوز عوّام .. بنت أبيها .. ومن شابه أباه فما ظلم، الأديب يحيى الإرياني، كان شاعراً وأديباً جميلاً أعطى للكلمة حقها..

ولعل الدكتور الأديب الشاعر الأكاديمي عبدالعزيز المقالح. قد وضع النقط على الحروف عندما وصف المجموعة القصصية لمياء شاعرة بامتياز..

في مقدمته التي صدر بها المجموعة، قال الدكتور المقالح: لمياء في هذه المجموعة القصصية شاعرة بامتياز، هل أقول أنها ضلت طريقها إلى القصة فكان ينبغي أن تكون في ذلك الفضاء المفتوح وهو الشعر؟! أم أقول إن التداخل بين الأجناس الأدبية يعطيها مكانة أوسع في هذا الموقع الملتبس الذي يمنحها القدرة على المزاوجة بين فن الشعر وفن السرد..).

لمياء سردية وشاعرة وباكورة المبدعة على الطريق وقريباً انتظروها ستصل حتماً.

شعر لمياء:

دعني أنت وتلك المسافة
أنت وكل التشرد
وكل الحكايا القديمة
دعني أجادل الزمان البخيل
فمنذ تكون حبك نبض القوافي.

أنا أحيا إذن كل النساء تحيا..

في عز الأزمة السياسية التي يعيشها الوطن اليمني، أهرب لقراءة الرواية التي أجلّتها منذ سنوات ليلاً حيث لا كهرباء ولا ماء ولا غاز.. وسط حالة الجنون وتبادل القصف القراءة هنا نوع من العبث لكنه ممكن أمام مشاهد القتل والدمار وفزع الصغار والكبار ونزوح الكثيرين لقراهم بحثاً عن الأمان وبقاء الأكثرية التي تنتظر ما أراده لها هؤلاء الفرقاء!!

محاسن الحواتي

أقرأ الرواية في يوم واحد، فنحن جميعاً نعيش وفق كل الاحتمالات.. لقد توقف الزمن واليمن السعيد يهدي للعالم مشهداً جديداً ومغايراً، عودة إلى الرواية التي قلبت آخر صفحاتها وبعدها كتابة هذه المادة، فهي رواية ذات نص خاص أنثوي غائر في أشياء النساء وإحساساتهن بالذات.. فالروائية ليلى بعلبكي أجادت فن الرواية بلسان البطلة الجريئة والحديثة والتي تعبر بشكل أو بآخر عن ليلى أو بنات جنسها، الرواية بعنوان (أنا أحيا) والتي كتبتها في العام١٩٥٨ م، قالت عنها الأستاذة/ جمانة حداد (بطلة ليلى بعلبكي حرة ومتمردة ووقحة ومتحدية، مستقلة، قدرية، شجاعة) وهي صفات كانت استثنائية في سياق الرواية الزمني، داخل صرخة ليلى بعلبكي الغاضبة، صرختنا الأولى منذ لحظة خروجنا من الأرحام إلى هذا العالم، صرختها هي صرختنا الدائمة تلك التي ينبغي لنا أن نكف عن إطلاقها يوماً بعد يوم لحظة بعد لحظة كي لا يبتلعنا وحش الامحاء والتغييب والذوبان، وصرختها هي صرختنا الأخيرة وتتوقها حناجرنا فمتى نصير كلنا.. كلنا لينا فياض؟ متى كلنا نصرخ (أنا أحيا)؟

لينا فياض تعترف وبجرأة عالية أن والدها من أثرياء الحروب من الذين يستفيدون من أزمات الناس ويتاجر بأقواتهم حتى صارت أسرتها من أعيان البلد (ما أكثرهم في اليمن).. هي التي التحقت بالعمل مبكراً تاركة الثراء وحياة الترف لأختيها وأخيها، لتدرس في الجامعة الأمريكية ببيروت، وتعمل إلى جانب ذلك في شركة يمتلكها صديق والدها.. رفضت أسرتها هذا العمل، لكنها أصرت وبعزيمة عالية واصلت، لم تندمج مع زملائها طلاب الجامعة الأمريكية الذين يتناقشون باللغة الانجليزية ويخوضون في السياسة بعقلية الأثرياء ذوي الثقافة الهشة.. هي تشعر – أي لينا فياض – إنها أكبر من هؤلاء البنات والصبيان وأنها أنضج، والخوض في حديث معهم لن يغير فهمهم للعالم ولما يدور حولهم.

البطلة لها وعي كبير بقضايا التحرر العربي وإلمام بما آلت إليه أوضاع العرب بعد الحرب العالمية الثانية.. تعي أيضاً أن والدها وغيره هم رجال أعمال بنوا أنفسهم على حساب الفقراء والمعدمين.. لا يهمهم سوى جمع المال والتعاون مع أعداء الأمة في سبيل أنفسهم، هي ترفض أن يُصرف عليها من أموال مشبوهة.. ترثى لحال والدتها التي تعتقد أن وظيفتها في الحياة إرضاء زوجها وتربية الأولاد ونظافة البيت.. وهو الزوج الثري الذي تربطه بجارتهم الأرملة ذات الجسد المترهل حسب وصف البطلة قصة عشق تحت الأضواء الخافتة، فهي تسأل: هل والدي يحب الأجساد المترهلة أو الممتلئة؟! إذن ما ذنب والدتها التي فقدت لحمها في تربية أطفالها ورعايتهم؟ لينا تجلس في المطعم وحيدة، الكل ينظر إليها باستغراب، أين الرجل الذي يُفترض أنه معها؟ أين أسرتها التي كان يجب أن تكون معهم؟ كسرت قيدها وجلست وحيدة تتناول القهوة، وفي عمل واع أبعدت الكراسي الفارغة التي بجانبها لتؤكد للناظرين أنها فعلاً لوحدها.

البطلة لديها أخت سمراء وأخرى شقراء وهي بينهما، السمراء تبحث عن شهادات ومجد عال، بينما الشقراء تبحث عن زوج، لكن لينا تبحث عن ذاتها! رفضت أسوار الثراء والعيش الرغد والناعم، حاولت أن تعمل وتكسب قوتها بعرق جبينها، حاولت تفهم الفلسفة بطريقة أخرى، تربطها بواقعها، حاولت ألا تواصل في محاضرات مملة، بل وظفت وقتها في المكتبة والقراءة وأحياناً تقودها قدماها لشوارع لم تكن لتعرفها لولا هذا التمرد على الروتين اليومي لحياة الثراء.. ترى الآخرين بعين فاحصة، تحيك لنفسها (فنايل) الصوف التي بمقدور والدها أن يشتري لها الأفضل والأثمن، لكنها تعتمد على نفسها في كل شيء.

الرواية في إطارها الزمني قد تعني تحريضاً للانفتاح ورفض السلبية وحفزاً للبحث عن الذات في بلد كلبنان لكنها تظل كذلك حتى الآن في دول كبلادنا مثلاً وموريتانيا وغيرها من الدول الأقل نمواً والتي تعتبر المرأة في أسفل السلم الاجتماعي والتعليمي مغيبة.. نعمد لقراءة مثل هذه الأعمال الرائعة التي تشع إبداعاً وتخاطب النساء والفتيات وتدفع بهن نحو حياة الحرية المسئولة، رواية تفتح أسئلة لا تطاق في إطار الأسرة العربية المحافظة، إذ من أين يأتي رب الأسرة بكل هذا المال؟ لماذا يسافر كثيراً ويتغيب؟ ما هي علاقاته خارج إطار الأسرة؟ ما هي النواقص أو السلبيات في زوجته أو الأشياء التي لا يحبها ولماذا لا يصارحها حتى تغير نفسها؟ لماذا يقرب الآباء أبناءهم الذكور ويدللونهم في حين تكون الفتاة صورة مصغرة من والدتها المضطهدة؟ لماذا تحرص الأسرة على الشكليات ولا تعبأ بالحوار داخل الأسرة؟ لا تعطي اهتماماً أكبر للنساء وآرائهن؟!

تُرى هل رواية ليلى بعلبكي (أنا أحيا) تدعو لإحياء النساء جميعاً؟ وهل هي في سياقاتها الرافضة لذل وخضوع الأنثى للواقع السلبي والنمطي هي رواية بشرت بقضية النوع الاجتماعي في العالم العربي وأهميته منذ قرون مضت؟! إنها رواية تحريضية تستفز في قارئها روح الثورة على كل مألوف سلبي ومأثور متخلِف.. تدعو عنوة لرفض السكوت عن الحق..

إلى آخر امرأة فينيقية

عمار زعبل الزريقي

اعتصر لذة الصمت
والليل والكتابة
أمخرعباب الغياب
أؤبجد الوقت لصالحك
لصالح ملايين الحروف المتطايرة
أمامي بلا سكون
أتدركين ذلك
أتدركين ألوان
شعرك المتكوم خلف أوردتي
وشراييني....
أتدركين أمطارك المسائية الملونة
وخفقات تربتي السهلة لك
ولنقشك الفينيقي
ولحزنك الفارسي
المثقل بالكرامات
والمزارات الروحية....
أترك لك كل ذلك
وأعبث بخصلات الليل عبثاً
طقساً لا أحضره كثيراً
إلا وأنت تتوهجين سماءً
أدرك كنهها
بأنك لا تنطفئين الآن
تنامين متوهجة
ثملة ببهار أقداري
وأسراري الفرعونية
المنسابة على سريرك اللازوردي
.....
حلماً....
هذياناً.....
وصراخاً من قار المغارات المسكونة
على خدود قارتي الماهولة بالمطر
والنساء
وأحلام الأطفال
أتركك تشعرين لوهلة أنك وحيدة
ارتحلت بلا حدود
غابت بك النجوم المكتظة
اكتظاظ صفحتك «الفيسبوكية»
صفحتك .....
التي تهيبت سكناها
دهراً من الثواني
وولجتها على حين غرة
من الميكروثوان
غازلت فيها روحك وأنفاسك
وأنوثتك الغائرة
في جسدك المثخن بالطفولة
والحنين المقدس
الموغل بالكرامة
....
بعثرت أسئلتي
لعبت كأطفال الشوارع
لم أكتب تعليقاً
لم أبد إعجاباً
كنت مبهوراً.... مشدوهاً
أصنع عالماً لي وللزائرين
الباحثين عن نون النسوة وتاء التأنيث
وغسيل الأطباق
ومساحيق التجميل وأعلفة الهدايا
والكتب الملونة
سالمت لم اعلن تمردي
تركتك توقعين حضوري
وحضور اسفاري
واشعار كنت أكنزها
لينتهي الصيف
وتنتهي الغيمات المثقلات بتعبي وتعبك
وينتهي العالم
وتبقين شاهدة على انصهاري العاري
انشطاري...
تطايري اللانهائي
للفراغ
للبكاء
.....
الذوبان
أتدركين ذلك
يا آخر النساء
وأنت طافية في الغيم
كالعذراء على قوس قزح
واختراقه العظيم
أتدركين الليل وصراخ طفلك الصغير
تهدهدين همسك... وبقايا عطرك
وبقاياي
وبقايا أشداء الليل
وأحلام لم تنته
عنك
عن امرأة
قصيدة
رصيف وطن
عن سلام عابر ورذاذ مطر

إصدارات ثقافية

مراسلات بلزاك

● مؤلف هذا الكتاب أو بالأحرى مترجمه الى اللغة الانجليزية هو الناقد الأميركي سي. لامب كيني، وقد ارفق النص المترجم بمقدمة مطولة وشروحات عديدة وهوامش، وهو هنا يقدم مراسلات الكاتب الفرنسي الشهير بلزاك من جزأين ضخمين يقاربان الثمانمئة وخمسين صفحة من القطع الكبير، ومعلوم ان رسائل بلزاك تشكل في بعض الأحيان جزءاً لا يتجزأ من أعماله الأدبية نظراً لروعتها وجمالها وهي تشكل على أي حال معيناً لا ينضب من المعلومات عن شخصيته وحياته.

وبالتالي فتلقي أضواء ساطعة على أعماله ورواياته ولا يمكن فهم هذه الأخيرة بدونها، وقد كتب بلزاك رسائل عديدة إلى أمه وأخته وعشيقاته، وأصدقائه الى درجة ان جمعها في اللغة الفرنسية استغرق عدة مجلدات ضخمة! وبالتالي فالترجمة الانجليزية لا تحتوي إلا على مختارات واسعة منها وليس كلها.

ورسائل بلزاك إلى عشيقته الأساسية مدام هانسكا والتي أصبحت زوجته في نهاية حياته تتجاوز المجلد الضخم ذا الألف صفحة! فما بالك برسائله الأخرى اذن؟ والواقع أن أدباء القرن التاسع عشر كانوا يعتمدون على المراسلات كثيراً، مثلما اعتمد أدباء القرن العشرين على التليفون ومثلما سيعتمد أدباء القرن الواحد والعشرين على الفاكس، والإيميل، والانترنت، والهاتف النقال للتواصل فيما بينهم.

وهذا يعني ان لكل عصر طريقته في التواصل بحسب تطور الوسائل التكنولوجية في ذلك العصر فمن يفكر الآن بكتابة رسالة أدبية مطولة الى أصدقائه وإرسالها عن طريق البريد؟ حتى بضع سنوات كان ذلك أمراً ممكنا وطبيعياً أما الآن فلا. الآن نكتفي بالرسائل الإلكترونية.

في البداية يقدم المؤلف لمحة عامة عن تاريخ حياة بلزاك ويقول بما معناه: «ولد بلزاك في مدينة «تور» الفرنسية عام ١٧٩٩ ومات في باريس مبكراً عام ١٨٥٠، وهذا يعني انه لم يعش أكثر من واحد وخمسين عاماً، ومع ذلك فقد ملأ الدنيا وشغل الناس بروايات التي تجاوزت الثمانين! وقد جمعت كما هو معلوم في مجلدات ضخمة تحت عنوان «الكوميديا البشرية أو بالأحرى: المهزلة البشرية».

وقد ترجمت روايات بلزاك الى لغات العالم أجمع، وأخرجت بعضها في أفلام سينمائية أو على خشبات المسرح، ولم يبق روائي كبير أو صغير إلا واطلع عليها، ومعلوم ان دستويفسكي تأثر به كثيراً، هذا من جملة آخرين عديدين.

ويبدو أن الأحداث المهمة في حياته الشخصية كانت ما يلي: ضعف حنان أمه تجاهه أو برودتها الصقيعية غير المفهومة، ويبدو أنها كانت تخون أباه، لأنه تزوجها وهي صغيرة فهو كان فوق الخمسين وهي في العشرين: ثلاثين سنة فرقاً في العمر.

ومن الأحداث المهمة في حياته محبته الكبيرة لأخته «لور» التي ولدت بعده مباشرة، وله معها مراسلات عديدة، ونسجل أيضاً ذلك الحادث المؤلم ألا وهو: موت أخته الثانية لورنس وهي شابة في الثالثة والعشرين من عمرها. وقد فجعت العائلة كلها بها، نقول ذلك وبخاصة انها كانت قد تزوجت منذ فترة قصيرة، وكان زواجاً تعيساً وغير موفق والشيء الذي كان يزعج بلزاك هو محبة أمه الزائدة لأخيه الصغير هنري فرانسوا الذي يعتقد بأنه ليس ابن أبيه الشرعي!

وكانت أمه تحبه كثيراً، وتفضله على بلزاك الذي أهملته وربما لهذا السبب أصبح بلزاك عبقرياً فيما بعد لكي يثبت لأمه انه أهم بكثير من هذا الأخ التافه الذي حظي باهتمامها واستأثر به كلياً من يعلم؟ فالتحليل النفسي هو وحده القادر على كشف خفايا النفوس أو أغوار القلوب.

ومع ذلك فقد كتب عدة رسائل إلى أمه ولكنها أقل أهمية من تلك التي كتبها الى أخته المفضلة، والأثيرة لديه: لور كما كتب رسائل غرامية عديدة الى النساء اللواتي تعرف عليهن، فقد ربطته علاقة حب أفلاطونية مع إمرأة تدعى زولى كارو، وتراسل معها كثيراً ولكنه تعرف على سيدة ارستقراطية تدعى مدام دوبيرني وكانت تكبره باثنين وعشرين عاماً، أي من عمر أمه.

وقد عاش معها مغامرات عاطفية كاملة وأحدث ذلك نوعاً من النقمة في أوساط عائلته والمجتمع ككل ثم تعرف بعدها على سيدة ارستقراطية أخرى وكانت تكبره أيضاً بخمسة عشر عاماً! ويبدو أنه كان معجباً بالطبقة الارستقراطية لأنه من أصل بورجوازي عادي وان لم يكن وضيعاً.

ومعلوم ان الطبقة الارستقراطية المتمثلة بالعائلات الكبرى هي التي حكمت فرنسا طيلة عهد بلوك، وكانت هيبتها لاتزال قائمة في عصر بلزاك على الرغم من الثورة الفرنسية.

ثم تعرف أخيراً على السيدة «ايفا هانسكا» الأجنبية لأنها من أصل روسي أو بالأحرى اوكراني وكانت ارستقراطية أيضاً وتملك الأراضي الواسعة في بلادها، كانت اقطاعية من الدرجة الأولى، وهي التي بادرت الى التعرف عليه بعدما اطلعت على روايته وأعجبت بها كل الإعجاب.

ولذلك راسلته، ثم أعطته موعداً في سويسرا حيث تعرفت عليه لأول مرة، وقالت بعدئذ. ان بلزاك الروائي أهم بكثير من بلزاك الإنسان أو الشخص، وقد قتلته هذه العبارة عندما سمعها من فمها لأول مرة، وكان ذلك قبل ان يحدث ببضعة أيام فقط! فقد كان يتمنى لو أنها أحبته لنفسه أيضاً وليس فقط لعبقريته الحداثية.

في عام ١٨٢٢ وكان عمره ثلاثة وعشرين عاماً فقط حيث العمر يكتب بلزاك: «أنت حزينة، أعرف ذلك، ولكن توجد في أعماقك قارات من الحب والإنسانية لم تكتشفينها بعد، بإمكانها ان تكون عزاء لك، بإمكانها ان تعيدك إلى الارتباط بالحياة من جديد».

«عندما رأيتك لأول مرة عرفت ان أعماقك حزينة وقلبك طيب وعميق، وأنا أحب مسبقاً الناس الذي يتألمون، وبالتالي فقدانك هو الذي شدني اليك وليس العكس».

ثم يردف المؤلف قائلاً: ينبغي العلم ان بلزاك كان يكتب رواياته الاولى باسم مستعار. وهي روايات تجارية هدفها الربح المادي والتسلية ليس إلا.. ولم يكتب باسمه الشخصي إلا عام ١٨٢٩. وكان قد بلغ من العمر ثلاثين عاماً بالضبط، وفي ذات العام أصدر رواية ثانية بعنوان: فسيولوجيا الزواج من قبل شاب أعزب! وهي عبارة عن تشريح للزواج واشكالياته من ذلك العصر.

وفي عام ١٨٣٠ أصدر مجموعة قصص قصيرة بعنوان:« شاهد من الحياة الخاصة»، وموضوعها هو فشل الحياة الزوجية فهل انعكست قصة اخته لورنس التعيسة مع زوجها على عالم بلزاك الروائي؟ لماذا لا نجد زواجاً موفقاً أو ناجحاً في رواياته؟

ثم صدرت بعدئذ رواياته الشهيرة: يوجيني غرانديه، الأب غوريو، خوري القرية، الخ، لقد عكس بلزاك في رواياته المتتالية كل الحياة الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية والثقافية لعصره: إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

من هنا عظمته وأهمية أعماله. فالروايات التي كتبها هي مرآة لذلك العصر، ومن يريد ان يتعرف على تلك الحقبة من تاريخ فرنسا ما عليه إلا ان يفتح روايات هذا الكاتب العبقري. ومعلوم ان البورجوازية كانت تواصل صعودها في ذلك الوقت بكل فهم وجشع لكي تأخذ المال والسلطة من أيدي الطبقة الارستقراطية، وفي الوقت ذاته فإن بلزاك يصور أوضاع الطبقة الارستقراطية التي كانت لا تزال تحتل الوظائف العليا في الدولة.

ولكن كان يبدو للجميع أنها سوف تفقد امتيازاتها عما قريب وسوف تطيح بها الطبقة البورجوازية الصاعدة، فالجديد يحل محل القديم لا محالة. وعلى هذا النحو استطاع بلزاك ان يصور احتضار عالم بأسره وولادة عالم آخر جديد على أنقاضه، من أهميته التاريخية والفلسفية وليس فقط الروائية، فالواقع انه كان مفكراً أيضاً وليس فقط كاتباً روائياً، وكان صديقاً لكبار كتاب عصره كفيكتور هيغو ولامارتين، واليكسندر دوما، وجورج صاند، وعشرات غيرهم.

وكان مطلعاً على كتابات فلاسفة التنوير وبالأخص جان جاك روسو، وهناك مؤلفات تشرح لنا مدى تأثير روسو عليه. وهناك مراسلات عديدة بينه وبين أدباء عصره وكتابه الكبار، ومعلوم ان علاقته بفيكتور هيغو كانت قائمة على إعجاب متبادل، وكان هيغو يدعوه بالشاعر، وهذا يعني انه كان يعرف قيمته الأدبية الكبرى بصفته اكبر شاعر في الرواية الفرنسية!

وقد رثاه فيكتور هيغو بشكل مهيب ورائع عندما مات، بل وصور لنا لحظات احتضاره بشكل آخاذ ومخيف ومؤثر جداً. وقد تأسف عليه لانه مات شاباً، فالواقع انهما ولدا في الفترة نفسها تقريباً بل وكان بلزاك اكبر من صاحب «البؤساء» بثلاث سنوات، ومع ذلك فإن فيكتور هيغو عاش حتى عام ١٨٨٥ هذا في حين ان بلزاك مات عام ١٨٥٠! ومع ذلك فقد خلد التاريخ بلزاك كواحد من أكبر أدباء فرنسا على مدار القرون، والواقع ان رسائله الى حبيبة عمره الأوكرانية تقدم لنا معلومات تفصيلية مهمة جداً عن الكوميديا البشرية صحيح اننا نشعر بالملل أحياناً اثناء قراءة هذه الرسائل، ولكن ينبغي ان نصبر عليها لكي نعرف كيف نستمتع بها ونستخلص الجوهر من القشور او الحنطة من الزوان.

فهي مليئة بالتفاصيل الصغيرة عن الحياة اليومية والمشاغل العادية التي تجعلنا نرى بلزاك شخصاً عادياً كبقية البشر. ولكن من حين لآخر نقع على إضاءات نادرة عن همومه النفسية والإبداعية، كما ونقع على معلومات تفصيلية تفسر لنا ما غمض من رواياته وأعماله، من هنا أهمية نشر هذه المراسلات لأول مرة باللغة الانجليزية بعد ان كانت قد صدرت بالفرنسية منذ زمن طويل.

والواقع ان المبدع لا يبوح بمكنون صدره إلا لأصدقائه المخلصين أو للمرأة التي يحبها، وربما كان يبوح لها بأسرار عديدة لا يستطيع ان يقولها لأي شخص آخر حتى من بين أقرب المقربين إليه نقول ذلك وبخاصة انها كانت أمرأة مثقفة وتعرف معنى الإبداع وتحب روايات بلزاك حتى قبل ان تتعرف عليه شخصياً.

يضاف إلى ذلك ان هذه الرسائل الجمة تشبه كنزاً أو منجماً مليئاً بالجواهر: أي بالمعلومات والمعطيات عن فترة بأسرها في تاريخ فرنسا وهي الفترة النابليونية وما تلاها، وبالتالي فهي تهم المؤرخين أيضاً وليس فقط النقاد الأوروبيين أو هواة الرواية البلزاكية.

الكتاب: مراسلات أونوريه دي بلزاك
الناشر: كيسنغر بوبليشنغ نيويورك
الصفحات: ٨٣٦ صفحة من القطع الكبير